النُّورُ القرآنيُّ

وإضاءَتُهُ على العقولِ والقُلوبِ

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب

(هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان)

من الصفحة ٢٦٧ حتى الصفحة ٢٧٣

للشيخ الإمام

عبد الله سراج الدين الحسيني

بناءً على توجيهات ولده

المهندس الشيخ

محمد محيي الدين سراج الدين

رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم: كتب الإمام
تحميل كتب الإمام وتحميل أبحاث مختارة

مدير الموقع:
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

النُّـوْرُ القُرْآنِـــيُّ
وَإِضَاءَتُهُ علىٰ العُقُوْلِ وَالقُلُوْبِ

إنَّ للقرآن نوراً يُشرق علىٰ القلوب فيبصِّرُها ، وعلىٰ العقول فينوِّرها ، ثم يَسري ذلك في جميع الحواسِّ الفكرية والسمعية والبصرية ، والمدارك الإنسانية ، فيهتدي الإنسان إلىٰ طريق الحق الثابت بالبيِّنات ، قال الله تعالىٰ : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ .

وقال تعالىٰ يمدح المتَّبعين هذا النور : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ ﴾ أي : برسول الله سيدنا محمد صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ﴿ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أي : هم أهل الظَّفَر بالبُغية والنجاح في المقصود ، والفائزون بالمطلوب ؛ هم ولا غيرهم .

وقال تعالىٰ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

ومن المعلوم قَطعاً أنَّ نور البصر وحده يريك النور ، ويريك الظلمة ، ولكن لا يريك الأشياء المادية والمرئية إلا بنور آخر خارجيّ ، فيلتقي نور البصر مع نورٍ خارجيٍّ فترىٰ الأشياء وتنكشِف لك الأمور.

وأما إذا كنتَ في ظلمة ، فلا ترىٰ بنور بصرك وحده غير الظلمة ، فأنت والأعمىٰ سواء في تلك الحالة ، لأنَّ نور البصر وحده لا يكفيك في التهدي إلىٰ رؤية الأشياء وتمييزها.

فكذلك العقل هو نور منحه الله تعالىٰ العاقل ، فهو يُعرِّف العاقل ويميِّز له بين النور الذي يهدي إلىٰ الحق ، وبين الظلمة التي تُلْقي صاحبها في الضلالات والمتاهات ، ولكنْ لا يُميِّزُ بين الصلاح والفساد ، وما ينفعه وما يضرُّه؛ وما يسعده وما يشقيه ، وما فيه خيره وشره ، إلا إذا مشىٰ نور عقله علىٰ نور الحق النازل من عند الله تعالىٰ ، وهو وحي الله تعالىٰ إلىٰ رسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: كتابه وسنة رسوله الكريم صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، فبذلك يهتدي إلىٰ معرفة حقائق الأمور ، ومعرفة ما فيه الخير والشر ، والصلاح والفساد ، والنفع والضرُّ.

فيلتقي نور العقل مع نور وحي الله تعالىٰ ، النازل علىٰ رسوله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ، فيهتدي ولا يضلّ ، ويسعد ولا يشقىٰ ، ويصلح ولا يفسد ، ويمشي سوياً علىٰ صراطٍ مستقيم ، يوصله إلىٰ رب العالمين ، وإلىٰ هذا كله يشير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾.

اللهم اهدنا فيمن هديتَ ، وعافنا فيمن عافيت .

فإذا سمع الإنسان العاقل هذا القرآن وأنصتَ له ، وأنصف معه ، أشرق قلبه واستنار عقله ، وتجلَّت له أنوار الحكمة الإلٰهية ، وأسرار المعارف الربَّانية ، وهذا مما يحمله علىٰ الإذعان للحق الذي جاء به ، والاهتداء بنوره إلىٰ السلوك علىٰ الصراط المستقيم ، فيمشي عليه سوياً ، وهو علىٰ بصيرة من أمره ، وبينةٍ من سَيْره ، قال تعالىٰ : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ .

ومن هذا إسلام عثمان بن مظعون ، وأكثم بن صيفي ، وغيرهما ممن لا يحصيهم التعداد :

روىٰ الإمام أحمد بإسناد جيد متصل حسن ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم بفناء بيته جالس ، إذ مرَّ به عثمان بن مظعون ، فَكَشَر إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ـ أي : ضَحِك وأبدىٰ أسنانه ـ .

فقال له رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم : «ألا تجلس»؟ ـ أي : لتسمع مني ـ فقال : بلىٰ .

فجلس رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم مستقبله ، فبينما هو صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم يُحدِّثُهُ إذ شَخَص رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ببصره إلىٰ السماء ـ أي : بسبب أَنَّ الوحي صار ينزل عليه ، صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم ـ فنظر ساعةً إلىٰ السماء ، فأخذ يضع بصره حتىٰ وضعه علىٰ يمينه في الأرض ، فتحرَّف رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم عن جليسه عثمان إلىٰ حيث وضع بصره

ـ أي: عن يمينه ـ فأخذ يُنغض رأسه ـ أي: يحرّكه ـ كأنه يستفقه ـ أي: يستفهم ـ ما يقال له ، وابن مظعون ينظر ، فلما قضىٰ حاجته واستفقه ما يقال له ، شَخَص بصر رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ السماء كما شخص أول مرة ، فأتبعه بصره حتىٰ توارىٰ إلىٰ السماء ، فأقبل صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم إلىٰ عثمان بن مظعون بجلسته الأولىٰ.

فقال عثمان: يا محمد فيما كنتُ أجالسك ، ما رأيتُك تفعل كفعلك الغداة.

فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «وما رأيتَني فعلتُ»؟.

قال عثمان: رأيتُكَ تشخص بصرك إلىٰ السماء ، ثم وضعته حيث وضعته علىٰ يمينك ، فتحرّفْتَ إليه وتركتني ، فأخذت تنغض رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك.

فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «وَفَطِنتَ لذلك»؟

فقال عثمان: نعم.

فقال رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «أتاني رسول الله ـ أي: جبريل عليه السلام ـ آنفاً ـ الآن ـ وأنتَ جالس».

قال عثمان: رسول الله ـ أي: جبريل ـ أتاك؟.

فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «نعم».

قال عثمان: فما قال لك؟

فقال صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: قال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

قال عثمان: فذلك حين استقرَّ الإيمان في قلبي، وأحببتُ محمداً صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم[1] ـ أي: وذلك لإشراق أنوار حِكَم هذه الآية الجامعة لمجامع الخير كله، والمحذِّرة من ألوان الفساد والشرِّ كله، فاستنار بها عقله، وانفتح لها قلبه، وانشرح لها صدره ـ.

ومن ذلك: ما رواه الحافظ أبو يعلىٰ في كتاب (معرفة الصحابة) بإسناده المتصل، أَنَّ أكثم بن صيفي، لما بلغه مخرج النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم، أراد أن يأتيه، فأبىٰ قومه أن يَدَعوه ـ أي: يتركوه ـ وقالوا: أنت كبيرنا لم تكن لتخفّ إليه، قال: فليأته مَنْ يُبلِّغُه عني ويبلّغني عنه، فانتدب رجلان ـ وروي أنهما ولداه ـ فأتيا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم.

فقالا: نحن رسل أكثم بن صيفي، وهو يسألك: مَنْ أنتَ، وما أنتَ؟ وفي رواية: وبِمَ جئتَ؟.

فقال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «أمَّا مَنْ أنا؟ فأنا: محمد بن عبد الله، وأمَّا ما أنا؟ فأنا: عبد الله ورسوله، جئتكم بقول الله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾».

فقالا: رَدِّدْ علينا هذا القول، فردَّده عليهم حتى حفظوه.

فأتيا أكثم فقالا: أبىٰ أن يرفع نسبه، فسألنا عن نسبه فوجدناه زاكي النسب وسَطاً في مُضَر ـ أي: أشرفهم وأمجدهم ـ، وقد رمىٰ إلينا بكلماتٍ قد سمعناها، فلما سمعهنَّ أكثم قال: إني أراه يأمر

---

(١) انظر (المسند) وتفسير ابن كثير ٢: ٥٨٣.

بمكارم الأخلاق ، وينهىٰ عن ملائمها ، فكونوا في هذا الأمر رؤوساً ـ أي: أسرعوا إلىٰ الدخول في دين هذا الرسول صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم تكونوا رؤوساً سادةً وقادةً ـ ولا تكونوا فيه أذناباً.

ولقد كان أكثم من الأذكياء الفطناء ، فلما سمع هذه الآية الكريمة أشرق قلبه بأنوار حكمتها ، واستضاء عقله بمجامع خيرها وآدابها ، فاعتبرها وتدبَّرها ، فتذكَّر المحاسن والمكارم التي انطوت فيها؛ فأسلم وأسلم قومه ، فكان ممن قال فيهم سبحانه في آخر الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

ومِنْ ذلك: ما رواه البيهقي في (الدلائل) وكذلك أبو نعيم ، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لما أمر الله تعالىٰ نبيه صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم أن يَعْرِض نفسه علىٰ قبائل العرب ، خرج إلىٰ مِنىٰ وأنا معه ، وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلاً نسَّابةً ـ أي: خبيراً بأنساب العرب ـ فوقف علىٰ منازلهم ومضاربهم في منىٰ ، فسلَّم عليهم وردُّوا السلام ، وكان في القوم مفروق بن عمرو ، وابن هانىء بن قبيصة ، والمثنىٰ بن حارثة ، والنعمان بن شريك ، وكان أقرب القوم إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه مفروق ، وكان مفروق قد غلب عليهم بياناً ولساناً ، فالتفت إلىٰ رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فقال له: إلىٰ مَ تدعو يا أخا قريش؟.

فتقدَّم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم فجلس ، وقام أبو بكر رضي الله عنه يظله بثوبه.

فقال النبي صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «أدعوكم إلىٰ شهادة أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأنِّي رسول الله ، وأَنْ تُؤوني

وتنصروني ، وتمنعوني حتىٰ أؤَدِّي حق الله الذي أمرني به ، فإنَّ قريشاً قد تظاهرت علىٰ أمر الله تعالىٰ ، وكذّبتْ رسوله ، واستغنتْ بالباطل عن الحق ، والله هو الغنيّ الحميد».

فقال له مفروق: وإلىٰ مَ تدعو أيضاً يا أخا قريش؟

فتلا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ إلىٰ قوله ﴿ تَتَّقُونَ ﴾.

فقال له مفروق: وإلىٰ مَ تدعو أيضاً يا أخا قريش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض ، ولو كان من كلامهم لعرفناه.

فتلا رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: ﴿ ۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ الآية.

فقال له مفروق: دعوتَ والله يا قرشي إلىٰ مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال ، ولقد أفِكَ قوم كَذَّبوك وظاهروا عليك.

وقال هانىء بن قبيصة: قد سمعتُ مقالتك ، واستحْسنتُ قولك يا أخا قريش ، ويعجبني ما تكلَّمتَ به.

ثم قال لهم رسول الله صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم: «إنكم لم تلبثوا إلا يسيراً حتىٰ يمنحكم الله بلادَهم وأموالهم ـ يعني: أرض فارس ـ ، وأنهار كسرىٰ ، فعليكم أن تسبِّحوا الله وتقدِّسوه».

فقال له النعمان بن شريك: اللهمَّ وإن ذلك لكَ يا أخا قريش.

ونعوذ بالله من حاسدٍ إذا حسد ، ومن حاقد إذا انتقد ، ومن جاهل إذا اعترض ، ومن مبغض إذا امتعض.